

البدايل التخطيطية للتجديد الحضري لمدينة الكاظمية المقدسة

م . د محمود اسماعيل محمد

جامعة بغداد / مركز الحاسبة الالكترونية

مستخلص

تمثل المدينة / المجتمع وجهان لعملة واحدة تأخذ هياتها العمرانية وهويتها الحضارية من مرجعيات نموذجها الثقافي Cultural Model ، وبذلك يتوافق الوجهان مما ينعكس على تطوير المدينة عمرانيا بما يحقق للانسان / المجتمع جودة الحياة والسكن .

موضوع ورقة البحث هذا تدور حول واحدة من المشكلات التي تعاني منها المدن العريقة ، تلك هي مشكلة التجديد الحضري والتطوير، اللتان تشيران الى برامج اعادة تطوير مساحات كبيرة من الاحياء المختلفة في المناطق الرئيسية من المدن وتحسينها.

مدينة الكاظمية المقدسة تعد واحدة من مدن العراق المقدسة وواحدة من مدن العالم الاسلامي ، تسربت اليها امراض التدهور التراكمي المتفاحم فبدأت هذه المدينة الغنية بمعالمها تعاني من تفسخ محقق بطيء . لذا بات من الضروري دراسة المدينة بهدف استكشاف واقع الحال ورسم صورة لاسباب الاعتلال في مرافقه ومبانيه .

ومن الدراسة والبحث بأسلوب التجديد الحضري ، تم التوصل الى ان عراق مدينة الكاظمية المتمثل في قدسيته وما تحويه من تراث معماري حضاري ، جعل من التوجه العلمي التخطيطي للمدينة ، يسير باتجاه وضع مخططات تسعى الى التجديد الحضري.

المقدمة

ان التجديد الحضري لاي أمة يقتضي الربط العضوي بين معطيات المكان الذي توجد فيه الأمة ، انطلاقا من ادراكها لعناصر القوة التي تتيحها ثقافتها وتأريخها ومجمل تراثها الحضاري ، التي تشكل فيها النظرة الفلسفية لانسانها.

الحاضر يُولد من جوف الماضي ، والمستقبل هو وليد رحم الحاضر، فالحاضر من هذا المنطلق نقطة عناق الماضي والمستقبل ، هذه الحقيقة وان حملت في ثناياها عبق العمومية ، الا انها في جوهرها تعبر عن جدلية ترابط حلقات الزمن ، ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله^١ . اليونسكو الدولي يعرف المناطق التاريخية أو التراثية بأنها "مجموعة الأبنية والمساحات (الفضاء) وتشمل المواقع الأثرية التي تشكل مستوطننا بشريا في بيئة حضرية أو ريفية ، ويعترف بقيمتها من الناحية الأثرية أو المعمارية أو التاريخية أو الجمالية أو الاجتماعية أو الثقافية^٢ لوجدنا مثل هذه المناطق في العراق كثيرة ولوجدناها تشكل قلب مدينة بغداد، والنجف، وكربلاء، وسامراء، وغيرها مشكلة المدينة القديمة أو ما يعرف بالمركز التاريخي في كل منها .

لقد تميزت هذه المراكز فضلا عن كونها مدن تاريخية فأنها مدن تاريخية مقدسة تنال استحسان وتقديس المسلمين والعالم اجمع ، تميزت بتراث عمراني ومعماري غني بمفرداته وعناصره

وبنسيجه العضوي المتكامل ، وقد استطاع هذا التراث أن يصور بدقة ملامح الحضارات المتعاقبة التي مرت بها هذه المراكز ، وان يعبر بواقعية عن النمط الاجتماعي والفكري لمستخدميها وساكنيها آنذاك .

لا تزال هذه المدن التاريخية المقدسة ومنها مدينة الكاظمية المقدسة تتمتع بجذب الناس الذين يأمنونها لاسباب دينية عن طريق قدسية المكان ، وكذلك تجذبهم اقتصاديا عن طريق تجمع الأنشطة الاقتصادية المللية لحاجات الزائرين ليس بقصد التبضع حسب ، بل للتبرك في مكان التبضع وهذه الثنائية دأب عليها ليس فقط العراقيون من مختلف محافظاتة عبر نطاق التأثير الديني والعقائدي ، بل الى خارج حدود القطر . واخيرا انها منطقة تراثية تتمتع بمناظر عمرانية تجسد طبيعة المدينة العربية الاسلامية القديمة .

مشكلة البحث

ان مشكلة البحث تدور حول امكانية التعامل مع المشاريع التي من شأنها ان تؤثر في النسيج الحضري للمدينة القديمة المقدسة في حالة وجود النية لاجراء عمليات التجديد الحضري للمنطقة المحيطة بالصحن الكاظمي الشريف ولمساحة يبلغ نصف قطرها نصف كيلو متر . والتي اعلن عنها مؤخراً لتقديم العروض التصميمية من قبل المكاتب الاستشارية.

هدف البحث

الهوية المقدسة وهي هوية خيالية غير موجودة إلا في أذهان المثقفين، والمطالبة بتحقيق هذه الهوية لايتعدى الترف الفكري الذي لاطائل منه ، ومع ذلك تظل الهوية المقدسة هدفا ثقافيا مهما يجب السعي اليه ، لانه يشكل نوعا المرجعية الثقافية والتاريخية التي توحد بين الجماعة الكبيرة التي تحتوي في داخلها جماعات أصغر منها . وهدف البحث هنا ، هو الوقوف على مدى ماسيترتب عليه من مداخلات من وجهة النظر التخطيطية في حال تعرض المدينة العربية الاسلامية المقدسة (مدينة الكاظمية) الى تغيير وتأثير عمراني غير ايجابي قد يصبح الاساس لتأثيرات أخرى ابعد في مدن مقدسة اخرى فيما لو نُفذ مشروع التوسيع للمنطقة المحيطة بالصحن الكاظمي الشريف في مدينة الكاظمية المقدسة. وكذلك امكانية وضع بدائل تخطيطية لعملية تطوير المنطقة المحيطة بالمرقدين الشريفين .

فرضية البحث

يفترض البحث ان مدينة الكاظمية من المدن التراثية التي تتمتع بمناظر عمرانية تجسد طبيعة المدينة العربية الاسلامية القديمة ، فضلا عن قابليتها على جذب الناس الذين يأمنونها لاسباب

دينية من خلال قدسية المكان وغيرها ، وان الحفاظ على موروثها والتراثي الحضاري والمعماري كفيل باستمرار تأطيرها بالمضامين التخطيطية الحضرية التي تعنى بحل مشكلات المدن القديمة .
خلفية عامة وتقديم

المدن والانسان أو أي كائن عضوي آخر ، تولد وتنمو وتضمر ، انها حقيقة حتمية لايمكن باي حال تجاوزها أو نكرانها ، انها حقيقة معززه بالشواهد مقرونة بالدلائل والمسببات .
اما الشواخص فهي كثيرة ، فكتب التاريخ مليئة بأسماء مدن تألقت في حقب مضت من حقب التاريخ باعت واندرست ولم يبق اثرها سوى الذكر .

مسببات موت المدن قد تكون بدوافع الاعتلال والاضمحلال والهزم التدريجي ، أو قد يكون باعثها اسباب طارئة داخلية أو خارجية تدهم المدينة ، بحيث تتمكن من مجابهة تبعاتها أو تحمل آثارها والتعايش مع تبعاتها ، فقدت في كيانها معالم الاعتلال كظواهر وتغيرات في المعالم الفيزياوية والتكوينات المورفولوجية فتبدأ ملامح اخرى مستجدة ومستخدمة^٣ . وفي اثناء التبديلة هذه تأتي على المدن مراحل انتقالية تحتفظ خلالها المدن ببقايا تراثها المنحدر من سالف عصورها ، وتبقى كخلايا عمرانية وجيوب حضرية مطوقة بطوق من العمران المتجدد .

مدينة بغداد ، ومنذ عقود خوالي تمر بهذه المرحلة التبديلية الواضحة التي تسارعت وتائرنا منذ حقب سابقة من القرن الماضي لتغدو في اعداد التبديلة الجامعة التي ما فتأت تقضم بشراهة على اخر ما تبقى من مآثرها العمرانية والتخطيطية في مدينة الكاظمية المقدسة .

كانت مدينة الكاظمية الحالية في اوائل العهد الاسلامي منطقة تشغلها البساتين ، ثم اصبحت مقبرة ، ثم محلة مهمة من محلات مدينة بغداد ، ثم ضاحية من اكبر ضواحي مدينة بغداد في الوقت الحاضر ، هذا ما تحدثت عنه الكتب والادبيات بشأن تأريخها^٤ .

تعد مدينة الكاظمية مركز لقضاء مهم من اقضية مدينة بغداد ، يشمل على صنفين من المحلات الاول القديم المتاخم للمرقد الشريف ويضم المحلات الشيوخ والقطانه والدبخانه والتل ، والثاني ويضم المحلات الحديثة البعيدة نسبيا عن المرقد الشريف وغير المتاخمة لها من المحلات النواب والعكيلات والعطيفية .

ان المحلات الاربع القديمة قد اخذ منها عامل الزمن حصته الوفيرة ، اذ بدأ تأثير التفسخ على بيوتها واضحا واثر على طبيعتها الفيزياوية ،نتيجة للاهمال المستمر الذي لحق بها من قبل المالك او المؤسسات الرسمية ، واصبح وضعها الحالي مدعاة للقلق على سلامة ساكنيها ،من حيث الرتابة في وضع بنائها ، وكذلك بيئة العيش غير سليمة صحيا، والتي ستعكس الآتاره السلبية اجتماعيا على ذلك المجتمع .

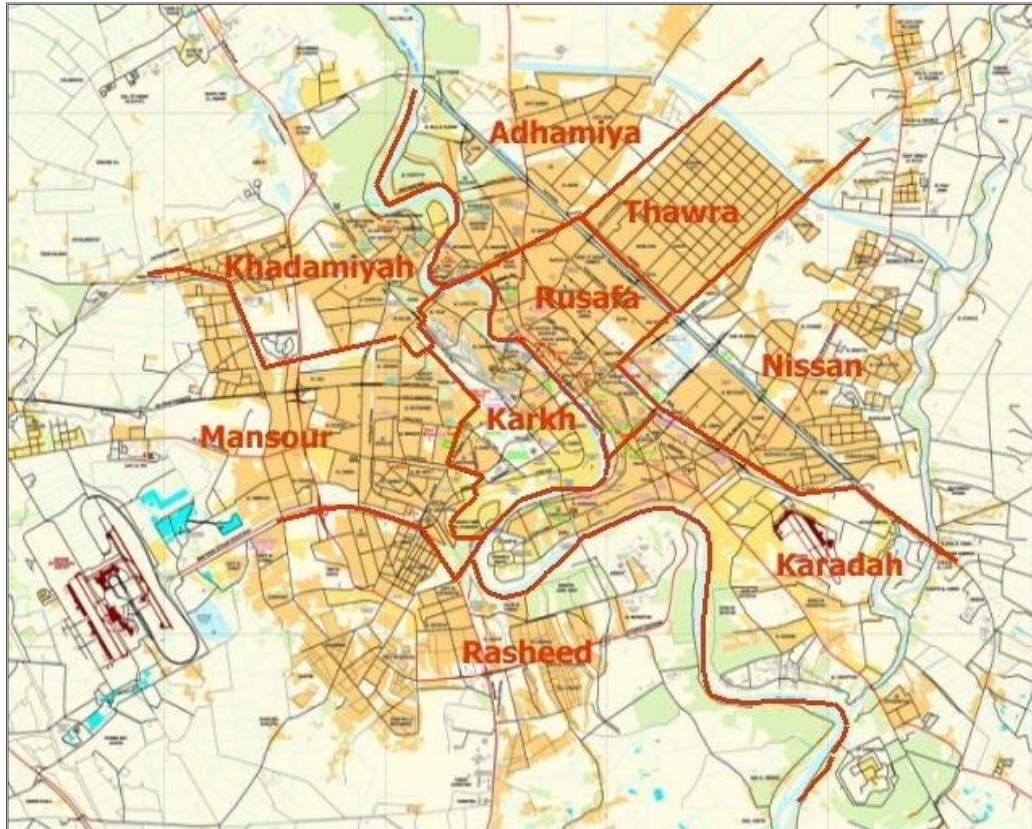
وهنا باتت عملية الاعتناء بها ضرورة لا محال، بالشكل الذي يؤمن العيش السليم لسكانها وفق آلية التخطيط العلمي الذي يعتمد المناهج الموضوعية ووضع البدائل ورسم السياسات الكفيلة بتحقيق ذلك والتي يمكن ان تتحقق باساليب عدة منها التجديد الحضري او الحفاظ او التوفيق بينهما .

الموقع

تقع مدينة الكاظمية المقدسة شمال العاصمة بغداد وعلى بعد (٥) كم في الجانب الغربي منها، وعلى الضفة الغربية لنهر دجلة بجانب الكرخ . ويحدها من جهة الشرق نهر دجلة ، ومن الغرب أراضي الغرابية ، ومن الشمال أراضي التاجي ، ومن الجنوب أراضي العكيدات ، وترتبط بجانب الأعظمية بجسر حديث يعرف بجسر الائمة ، وترتبط من جهة الجنوب في منطقة الشالجية بجسر الصرافية (المعروف بالجسر الحديدي) بجانب الرصافة. وكانت تربطها بالعاصمة بغداد بسكة حديد حتى عام ١٩٤٦ م التي لم يعد اليها وجود في وقتنا هذا، لاحظ الشكل (١).

شكل (١)

خريطة بغداد موضحة فيها المدن الرئيسية ومنها مدينة الكاظمية



المصدر: موقع الانترنت www.amanna.com

التأسيس

بنى أبو جعفر المنصور مدينة بغداد عام (١٤٥ هـ)، و جعل موضع الكاظمية مقبرة خاصة سماها (مقبرة قريش الكبرى) ، ولما توفي ابنه جعفر الأكبر سنة (١٥٠ هـ) كان أول من دُفِنَ فيها ، ولما توفي الإمام موسى الكاظم سنة (١٨٣ هـ) دُفِنَ فيها، اذ سميت المدينة باسم الكاظمية تيمنا لاسم الامام الكاظم.

المراقد

تضم مدينة الكاظمية المقدسة اظرحة ومقامات لأئمة المسلمين ،الإمام موسى الكاظم ومرقد حفيده الإمام محمد الجواد (عليهما السلام)، اذ يقع المرقدان في الروضة الكاظمية ، فضلا عن مراقد لاولياء صالحين من امثال الشريف الرضي وابي يوسف (رضي الله عنهما) اللذين يقع ضريحهما على جوار الصحن الكاظمي الشريف .

الكاظمية في المصادر الغربية

تمتلك مدينة الكاظمية ثراء ادبيا واسعا لكتاب وشخصيات عربية معروفة وغير معروفة بين الاوساط الاكاديمية والبحثية وغيرها من الصعب على الباحث ان يجمع اغلبها ، لكن من المفيد هنا ان نتعرف على آراء باحثين ومستشرقين اجانب عرجوا في كتاباتهم ومقالاتهم عن اصالة مدينة الكاظمية ، لقد ذكر في احد مواقع الانترنت كثيرا من ذلك .

حيث يُعدّ المشهد الكاظمي في مقدّمة العتبات المقدّسة في مدينة بغداد التي يقصدها المسلمون للزيارة والتبرك، ويتعبّد فيها الزوّار للأجر والثواب. ولم يُكتَب لهذا المشهد المطهر بأن تحظنتريته الزكيّة بمثل هذا التقديس والاعتبار إلاّ لكونها تضم بين طياتها رفاة الإمامين الكاظمين ، وفاة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) عام ١٨٣ هـ ودفن في المنطقة التي تسمى الآن الكاظمية وكانت حينها خارج بغداد وتسمى مقابر قريش ، وقد دفن فيها قبله جعفر بن أبي جعفر المنصور مؤسس بغداد عام ١٥٠ هـ، الموافق ٧٦٧م. وفي عام ٢٢٠ هـ الموافق ٨٣٤م توفي حفيده الإمام محمد الجواد (عليه السلام) ودفن بجوار جده.

وقد كتبت عن الكاظمية عددٌ غير يسير من المؤرخين الغربيين، أمثال المستشرق الانكليزي المعروف « غي لسترنج » في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية)، والرحالة ابن جبير ذكرها بإكبار وإجلال في اثناء وصفه لبغداد. وقد التهمت النار قبة الامامين سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م)، كما للمستتر سيتون لويد، الذي عمل خبيراً لمديرية الآثار القديمة في العراق مدة طويلة منازل من، إنمقبرتين قد دُشنتا فيها إحداهما في موقع مقبرة زردشتية قديمة تسمى الأعظمية في يومنا هذا،

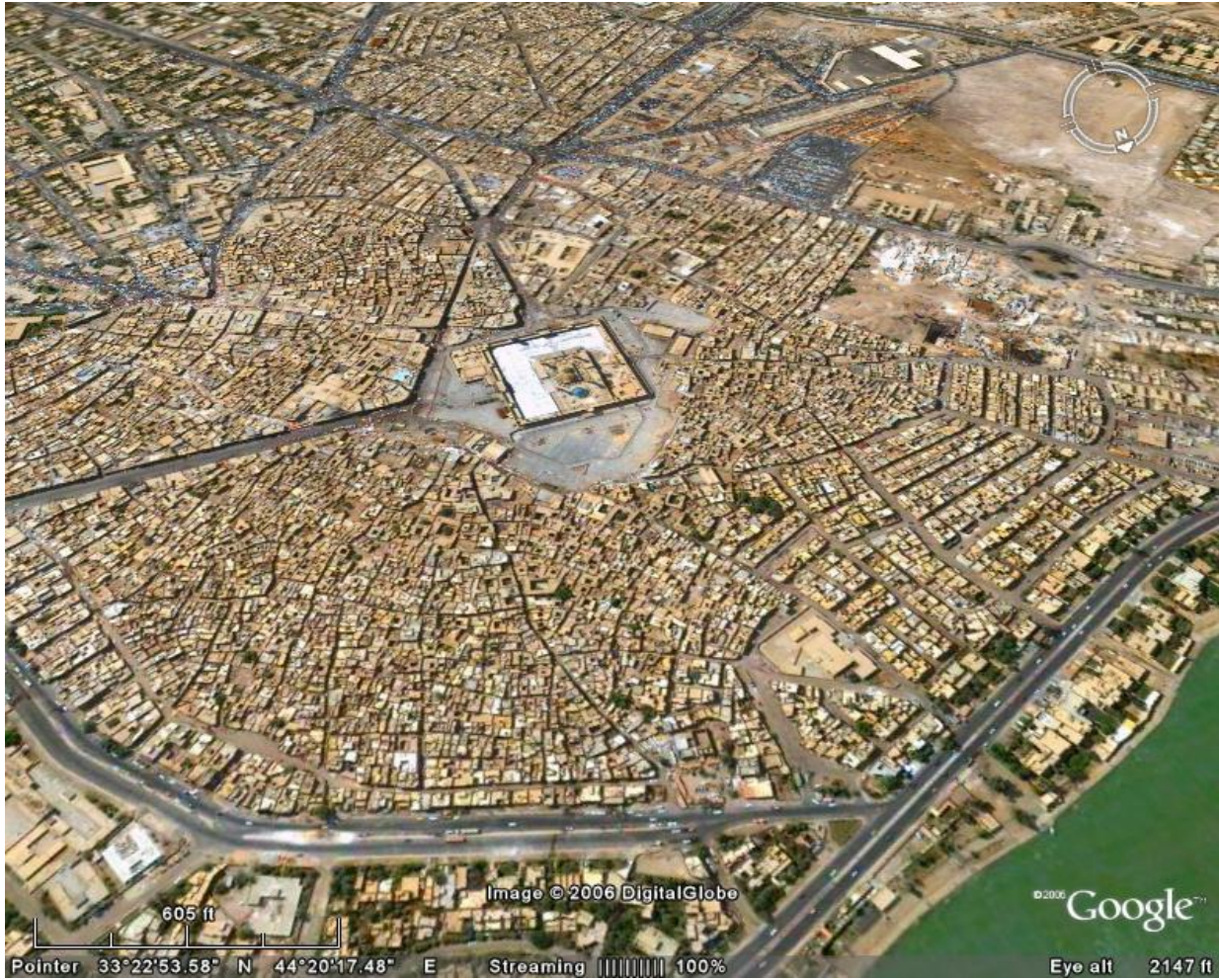
والأخرى في شمال المدينة المدورة ، اذ تحوط جامع الكاظمين اليوم بضريحائنين من الأئمة الاثني عشر. ثم يشير إلى أن المنصور نفسه قضى نحبه بعد الانتهاء من تشييد بغداد. وفيما كتبه دونالدسون ريشارد كوك يأتي الدكتور دوايت دونالدسون في كتابه عقيدة الشيعة: إنكَلَّ مَنْ يَصِلُ إِلَى بَغْدَادٍ مِنَ الشَّمَالِ أَوْ الْغَرْبِ لَا يَدُ مِنْ أَنْ يَجْتَذِبَهُ مَنْظَرُ الْمَآذِنِ الْمَذْهَبَةِ الْأَرْبَعِ فِي الْكَاظِمِيَّةِ الَّتِي يَوْجَدُ فِيهَا الْمَشْهَدَ الْكَاظِمِيَّ الْمَشْهُورَ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ. تحليل واقع حال منطقة مدينة الكاظمية

منا لاطلاعات والمسوحات الدقيقة المشار إليها في كثير من الدراسات والنشريات والمقالات لكل مرافق المنطقة القديمة ومكوناتها ، يتبين ان ثمة تدهور واضح ومستمر في اغلب كيان المدينة القديمة المحيطة بالمرقدين الشريفين . مرجعية التدهور قد تعود الى عوامل افرزتها الدلالات والمعلومات والادبيات والدراسات المتوافرة عن واقع المدينة. البعض من مسببات التدهور قد يعود الى اخفاقات واختلالات تشريعية وقانونية ، وقد تعود ومسببات الى عوامل استعمالية استغلالية ، فيما يعود الى عوامل مادية فيزيائية ، وان البعض من هذه العوامل يمس حالات متفردة لمبنى او مجموعة مباني ، وان اختلفت درجات ومديات تأثير هذه العوامل . الا انها تبقى بكل الاحوال متداخلة في تأثيراتها ، تعمل مع بعضها مسببة ذلك الترددي والانحدار التدريجي في مستوى المنطقة عمراناً وتخطيطاً. والشكل (٢) يمثل صورة جوية لمدينة الكاظمية.

ان أي دعوة لتحليل ودراسة مكونات روح التراث المعماري وتشكيلات الافكار وبعثها مجدداً بما يجعل العمل الابداعي المعاصر معبراً عن الروح من خلال تجذيرها ^٦.

ان المنطق يحتم ان تستمر الصلة بين تراثنا العمراني وحاضرنا الحديث ، ذلك بالاستفادة من الخبرات السابقة في معالجة المشاكل العمرانية ، وفي طريق التجاوب مع احتياجات ومتطلبات الانسان العربي بمفاهيمه وتقاليده وعاداته الخاصة ، هذه الخبرة التي تجمعت عبر القرون لتعطينا الشكل المتطور للعمارة والذي وصلتنا عن اجدادنا من خبرة لايجوز لنا أن نهملها بل يجب ان نعتمدها كمؤشر وموجه في سبيل حل مشكلاتنا العمرانية المعاصرة ^٧

ان أي دعوة لتحليل ودراسة مكونات روح التراث المعماري وتشكيلات الافكار وبعثها مجدداً بما يجعل العمل الابداعي المعاصر معبراً عن الروح عن طريق تجذيرها ^٨.



المصدر : موقع الانترنت www.googleearth.com

خصوصية مدينة الكاظمية العربية التقليدية المقدسة

تعد مدينة الكاظمية التقليدية المقدسة من اقدم المدن في العالم ، وقد صمدت على مر العصور المتعاقبة ، وان جميع الحضارات والعهود التي مرت على هذه المدينة تركت اثار لها رغم الدمار والخراب الذي لحق بأبنيتها ومعالمها التاريخية من جراء الغزوة والحروب وكوارث الفيضانات والحريق ، ولكن تبقى بعض الابنية الذاتية والمواقع التاريخية شاهدة على قدم وعراقتها هذه المدن . ويصبح الامر صعبا جدا في لو كانت هذه المدن من المدن المقدسة ، اضافة الى كونها مدن قديمة تقليدية اسلامية مقدسة .

ان نسيج المدينة الناتج عن نظام البيوت السكنية والمحلات التجارية والصناعية والحرفية يعتبر عنصراً حيوياً يعطي المدينة الحياة والاستمرارية . هذا فضلا عما في المدينة من اسواق تراثية وخانات وحمامات ومبان ثقافية وتعليمية متنوعة بحيث امتزج كل هذه النشاطات بعضها ببعض الاخر . هذه الخلطة المتكاملة يمكن ان نجدها جلياً في مدينة الكاظمية المقدسة ، حيث المرقد

الشريف ويتوزع حوله (باسلوب تخطيطي معماري انشار معياري رائع المعالم نادر التكوين) الانشطة والفعليات بشكل مثالي لتخطيط المدينة العربية الاسلامية المقدسة ، التي تعمل على بث السرور والراحة والاطمئنان للزائرين اذ قدموا واستقبلوا فيها .

ان المحافظة على الابنية التراثية والمواقع التاريخية في المدينة بلغت مرحلة متطورة في اغلب الدول المتقدمة ، معتمدة في ذلك الاسلوب العلمي والعناية الفائقة في اظهار المعالم المعمارية الاصلية ضمن حدود امكانية الانسان وعلى اساس الامانة العلمية في ابراز المنشأة ، ويساعد في عمليات المحافظة على الابنية التراثية تطور في القوانين والانظمة المحلية الواسعة واستخدام الوسائل الاعلامية في النوعية^{١٠}

لاشك ان الابنية التراثية والموقع التاريخية ثروة الشعوب والمجتمعات ، وان هدم الابنية التراثية والمواقع التاريخية يعني فقدان هذه الثروة الى الابد وبالتالي استحالة استردادها في يوم من الايام ، لان المدينة هي كائن عضوي له جسم كجسم الانسان ينمو وقد يتعرض الى المرض والشيخوخة ومن ثم يموت الى لا عودة.

انهذا ينطبق ليس فقط على المدن التقليدية للمدينة القديمة ، بل وعلى جميع الابنية في العالم التي لها خصوصية تراثية وتاريخية ، حيث وجد في استطلاع على عينة كبيرة من الشعب الصيني ، ان التجديد والتطوير والنمو العمراني الجديد يزيد من وحشة السكان الاصليون حين يجدون ان المعالم التراثية القديمة قد ازيلت واستبدلت بمواقع جديدة ذات طابع عمراني حديث افقد المدينة التراثية خصوصيتها^{١١} هذا الشاهد هو واحد من شواهد العصر الحديث في العالم الغربي المتحضر وكيفية تعامله مع الموروث الحضاري للمجتمعات قاطبة . والشواهد في عالمنا العربي هو نسبي قد نراه في مدينة تتألق بالحفاظ ولانراها في مدينة اخرى بل العكس في التغيير باتجاه عملية التجديد على حساب الموروث الحضاري الاصيل.

التجديد الحضاري

ان التجديد الحضري يشير الى برامج اعادة تطوير وتحسين مساحات كبيرة من الاحياء المختلفة في المناطق الرئيسية من المدن.

هناك عدة مجموعة تعريفات للتجديد الحضري ، على الرغم من تعددها فأنها تقترب من حيث المعنى من بعضها البعض. فبرنامج التجديد الحضري ينص اساسا حسب احدي التعريفات على ان تستولي الحكومة على مساحات من الارض وتعيد تخطيط المنطقة، ويعني بالتجديد الحضري فحسب تعريف ثان ترميم على الابنية وتكييفها وفق متطلبات الحياة المعاصرة ، ويعرف على انه سياسة لمرحلة جديدة من مرحلة قديمة ويعمل على تجديد كل المباني تحت تأثير التغيير

الاجتماعي والتكنولوجي السريع^{١١}، وعرف على انه "التهديم الشامل للمناطق القديمة بطريقة تؤدي الى ازالة مجموعة كبيرة من المباني والدور السكنية وتسمح بتخطيط المباني الحديثة والطرق والفضاءات المفتوحة وبنائها، اما جابن فقد عرفه على انه "تغييراً في الناحية العمرانية للمدينة يمكن بواسطته تغيير الهياكل والمرافق القديمة التي لا تتلاءم في الوقت الحاضر في الوقت الذي تغيرت فيه المدينة ككل استجابة للضغط الاقتصادي والتغيرين الاجتماعيين والعمرانيين^{١٢}.

ان للتجديد جانبه المتخصص بتنظيم حياة المدينة وديناميكيته ومورفولوجيتها وتنظم علاقات الاعمال فيها مع ربط النشاطات التي تقدمها المدينة من سكن وعمل وثقافة واماكن للنزهة. وان استراتيجية ومجال التجديد الحضري يجب ان يلتقيان داخليا وبشكل تنظيمي مع تخطيط المدينة من حيث خصوصيتها ، التراثية ، المعمارية، الاجتماعية ، الدينية.... الخ

وبات واضحا ان التجديد الحضري لاي أمة يقتضي الربط العضوي بين معطيات المكان الذي توجد فيه الأمة ، انطلاقا من ادراكها لعناصر القوة التي تتيحها ثقافتها وتأريخها ومجمل تراثها الحضري ، التي تشكل فيها النظرة الفلسفية لانسانها. وفي الوقت نفسه فانه يتوجب على تلك الامة ان تدرك متطلبات الزمان الذي تعيش فيه .

ان القدرة على الربط العضوي بين معطيات المكان ومتطلبات الزمان ، تمثل المخرج العملي من ازمة التخلف والمدخل السليم لعملية التجديد الحضري . فالتجديد الحضري ما هو الا الاصالاة باعتبارها العملية التي يتم بواسطتها تحديد مدى صلاحية الماضي للاستمرار في تفاعله مع الحاضر ، وما ينجم عن هذا التفاعل من تجديد ، اذ ان الاصالاة هي الشكل الذي تتولد منه الاشياء فقدرتها على التولد لا تنفصل عن كونها مرتكزا اصيلا له^{١٣}.

ان هذا المفهوم الصحيح للاصالاة هو المفهوم الذي يجب ان يعتمد عليه في السعي من اجل صياغة المنطلقات الفكرية اللازمة لعملية التجديد الحضري .

اسباب التجديد الحضري

وهناك اسباب تكمن وراء عمليات التجديد الحضري ، لان المدن في العالم تضم احياء قديمة وهي يمكن ان تكون احياء متخلفة على الرغم من ان الاحياء القديمة متخلفة او كل الاحياء المتخلفة ليست كلها قديمة . ويعد الباحثون ظهور هذه الاحياء الى اسباب منها

ان يكون الحي ممتازا في وقت ما ثم تركه سكانه الاصليون بمرور الزمن ، وسكان الحي سكان باقل دخل حتى وصل الحي الى حالته المتخلفة من ناحية المباني والطرق والتسهيلات ومن ناحية نوع السكان ايضا . وهذا ما نلاحظه في مدينة الكاظمية الان.

ويعتمد اسباب التجديد الحضري على اسباب منها

اجتماعية : تعود لنمط العلاقات الاجتماعية التي تؤلف ما يعرف بالنظم الاجتماعية، والتي تتضمن مجموعة من القيم الاجتماعية تختلف من منطقة الى اخرى داخل المدينة .

- اقتصادية : تتضمن قيمة الملك ، الايجار ، النشاطات الاقتصادية للأفراد عموماً .
اسباب عمرانية : يمكن ان يلاحظ التهرؤ في الابنية القديمة للمدن الناتج عن عامل الزمن سواء كانت هذه الابنية تستعمل كدور للسكن أو الخدمات بأختلافها .
ان التجديد للاحياء القديمة لايعني دائما هدمها وازالتها ، بل قد يعني في احيان كثيرة صيانتها والقضاء على اسباب تدهورها .

منهاج التجديد الحضري

كما هو معروف تخطيطيا ان منهاج التجديد الحضري يتضمن ثلاثة مبادئ رئيسة هي :-

١- الحفظ Conservation

يعد الحفظ احد مبادئ منهاج التجديد الحضري مع الابنية ذات القيمة التاريخية والتراثية نسبة الى وظيفتها وهذا ما يعتمده التخطيط في منهجه العلمي والعملية والاكاديمي .
ان الحفظ لا يعني المحافظة على منطقة بأكملها فقط ، وانما قد يعني ايضا اختيار عدد معين من المباني التي يتم المحافظة عليها بسبب تهرؤها تهرؤا كبيرا او ان لها قيمة تاريخية أو معمارية ، مما يجعل هذه الابنية تتفاعل مع النسيج الحضري للمدينة ككل ، وبالتالي تنتعش من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ، وتبقى حية ضمن النسيج الحضري^٤ ، وهنا لا بد لنا ان نبين ان للحفظ طرائق كثيرة منها الترميم ، اعادة البناء، الصيانة، وغيرها .
وللحفظ فوائد عديدة منها ، حفظ وترميم وتقوية اكبر عدد ممكن من الشواخص التاريخية و تحسين للحالة البيئية ، وجذب السواح وغيرها .

٢- اعادة التأهيل Rehabilitation

وهو مهم في المناطق التي تكون الابنية فيها متهرئة جزئيا وتتصف بنقص في الفضاءات المفتوحة والمناطق الخضراء وعدم التنظيم والازدحام .

٣- اعادة التطوير Redevelopment

ويعتمد على ازالة وهدم المباني والاحياء المتهرئة في المدن ، ثم اعادة بنائها وفق مخطط جديد يعكس استعمال الارض الايجابي، ونمط توزيع السكان ، وهذه العملية تطبق في المباني الآيلة للسقوط أو الزوال ككل .

الدور القانوني للحفظ على المدينة القديمة

ان المحافظة على المواقع المباني التاريخية بلغت مرحلة متطورة في اغلب دول العالم والدول المتقدمة ، معتمدة الاسلوب العلمي والعناية الفائقة في اظهار المعالم الحضارية المعمارية الاصلية ، ويساعد في ذلك عمليات المحافظة على الابنية التراثية ،تطور في القوانين والانظمة المحلية ، وتوظف رؤوس الاموال للقيام بالاعمال ودراسات ميدانية واسعة واستخدام الوسائل الاعلامية في النوعية ، فضلا عن تشكيل اجهزة متخصصة في ممارسة اعمال الصيانة والترميم والمحافظة على المناطق التراثية مرتبطة مع الخطط الموضوعية لتطور المدينة . وترتبط هذه الاجهزة بأجهزة مماثلة في أقطار العالم الاخرى عن طريق عقد الاجتماعات والمؤتمرات والندوات ويتناول الآراء المشكلات المتعلقة بهذا المجال^{١٥}.

ان مجموعة الاطر القانونية والتشريعات والتوجيهات والتوجهات والارشادات التي تكفل بناء مدننا المعاصرة على اساس ايجاد التوازن المستمر بين الاحتياجات المادية والروحية والمعنوية في البيئة العمرانية للمجتمع ، كما وتحت تعاليم الدين الاسلامي الحنيف ، والفكر العربي الأصيل على ضرورة ايجاد وتحقيق ذلك التوازن نفسه في حياة المجتمع بجانبه المادي والاخلاقي - الروحي^{١٦}.

اذ تعد الشريعة الاسلامية واصول الدين الاسلامي هي القاعدة التشريعية التي استمد منها العرب قوانينهم التخطيطية في انشاء وبناء المدن العربية القديمة التقليدية .

ستراتيجية تطوير المنطقة المحيطة المرقد الشريف

قد ينشأ صراع بين اصحاب الفكر التقليدي وأصحاب الفكر الحديث في المجتمع المدني ، وهذا الصراع سببه الصدمة الحضارية التي قد تحدث نتيجة تركيز واقع جديد ، اذ أن الاولين يضررون بأجتهاداتهم في اعماق الماضي من تأريخ وتراث وعقائد البحث عن حلول جاهزة سبق وأن أجريت في الماضي لواقع جديد ذي مشكلات مختلفة نوعياً عن الماضي . ويسلخ كثيرون من اصحاب الفكر الحديث انفسهم ومنطلقات فلسفتهم عن المكان الذي يوجدون فيه والمجتمع الذي يتصدون لحل مشكلاته ، رافضين معطيات تأريخه وتراثه وعقائده، مستعيرين فلسفات تأصلت لمجتمع بشري ذي تأريخ ونظرة وتراث مختلف عن مجتمعهم .

وبين حدة الصراع الاعمى لهذين التيارين ، وتحت وطأتها الفكرية يبرز التوفيقيون باجتهاداتهم التي يعجز تأثير عن تأصيل الفكر في مجتمعهم ، ليصبح قادرا على لمس مشاعر الانسان وحسه التأريخي من ناحية ، فضلا عن تزويده بالوسائل وتبصيره بالآفاق التي اتاحها المعرفة الانسانية المتجددة لمواجهة العصر بأسلوبه وادواته من ناحية اخرى .

يمكن ان يتم تحقق عملية التطوير والتنمية المكانية الحضرية العمرانية على جسد مدينة الكاظمية العربية الاسلامية التقليدية القديمة بالشكل الذي اذا روعي فيه الاسس التخطيطية والتصميمية واستخدام الامثلية في المعايير التخطيطية في عمليات التطوير.

ويأتي ذلك من خلال اعتماد فلسفة تخطيطية تقوم على وعي المخطط الذي له القدرة على الاستيعاب والتأثير في مشاعر الناس وافكارهم وممارساتهم واتجاهاتهم ، بالمستوى الذي يقترب من غايات الناس واهتماماتهم ، لان المخطط الناجح هو الذي يتأثر بالاهداف الذي يرومها ويرسمها المجتمع الذي يتعامل المخطط معه والتي تختلف باختلاف الخلفية التاريخية للموضوع قيد التخطيط الذي يفرضه الواقع الحضاري لذلك المجتمع المُخطط له ، والفلسفة الاجتماعية السائدة في المجتمع جزء (يمثل مكان التخطيط)، والكل يمثل المدينة او الاقليم ،وهي النظرة المستقبلية المتوخاة من تلك العملية التخطيطية .

اذا تمكن المخطط من ادراك الحقائق المحيطة بالظاهرة قيد الدراسة ، فانه سوف ينتقل الوضع للمشهد التخطيطي الفلسفي الذي يتعامل معه ضمن المفاهيم الاكثر شمولاً ، لكونه يحاول بذلك بناء الواقع بالشكل الذي يجعل الحياة ممكنة ومقبولة وموصولة .

ان امكانية اعدادتخطيط وتصميم لعملية تطوير مدينة الكاظمية (جزء أو الكل)تتطلب بناء وايضاح مشهد فلسفي ،كونه سوف يعنى بالتأثير والتغير لنظام عضوي بنيوي آخذاً بنظر الاعتبار التماسك والتضامن في العملية التخطيطية القائمة على اختيار العناصر والبدائل للمواقف المعتمدة مابين التغير والتحدي ، وهنا يتطلب موقف ان يكون فكراً مدروساً على اسس علمية معتمدة في هذا المجال.

البديل الاول

بموجب هذا البديل يتم العمل على ازالة مساحة دائرية حول جدار المرقد الشريف نصف قطرها ٥٠٠ م فأقل . يتم بموجبة ازالة عدد من الدور السكنية للمحلات الاربعة (الشيوخ والقطانه والدبخانه والتل) المتاخمة للمرقد الشريف المتهرئة منها والتي لايمكن العمل على اعادة تأهيلها بالشكل الذي يحافظ على الخصوصية التراثية المعمارية للمدينة العربية القديمة ان امكن ذلك بموجب القياسات المعيارية المعتمدة محليا وعالميا في التعامل مع هذه الحالة . ان الهدف من ذلك اما لتوسيع المنطقة المحيطة بالمرقد الشريف وازضافة خصوصية للمشهد الكاظمي من منظوريصري قريب واضح ، وجذاب بعيد مع توقيع بعض المباني ذات الارتفاعات المنخفضة لتجنب التلوث البصري الذي قد يحدث وحفاظا على الخصوصية الاجتماعية ، أو اضافة المرافق الاخرى التي لها قيمة مطلوبة لتكملة المزيج الوظيفي للمدينة ، مثل مناطق استراحة الزوار

بالشكل المعماري الذي يتناسب مع المشهد المعماري القديم ، مراكز اخرى تقدم الخدمات الضرورية والسريعة منها للزائرين وبعض الاحتياجات الاخرى التي تقرر بموجب الاتفاقات ما بين اراء المختصين من علماء الدين والمعماريين والمخططين وممن ذوي الشأن والاختصاص.

البديل الثاني

يقوم هذا البديل على اساس عدم ازالة اي جزء من المباني السكنية او التجارية او اي استخدام آخر للمنطقة المحيطة بالمرقد الشريف ، وانما يتم العمل على تطوير المنطقة في محيطها الخارجي والمحافظة المطلقة على جميع المكونات المعمارية للمدينة ولاسيما المساحة المتاخمة للمرقد الشريف حفاظا على خصوصية المدينة التاريخية من حيث الوجود التراتبي لتوقيع المدينة العربية القديمة . وان يتم التعامل مع الوضع الحالي من خلال عملية الاستملاك من قبل الدولة للمباني المتهترئة والمحافظة عليها بالوقت الحاضر مستثمرين في ذلك عدم استغلالها بالشكل الذي يؤدي الى انهيارها وتعرض ساكنيها الى المخاطر المستقبلية والمخاطر الحالية التي تكمن وراء عدم اهلية هذه الدور للسكن من الناحية الصحية والاجتماعية ونواحي اخرى، لحين اتخاذ القرار بشأنها مستقبلاً ، اسوة بالدول التي نحت هذا المنحى بالتعامل مثل مدينة دمشق ولاسيما بالمنطقة المحيطة بالجامع الاموي ، ومدينة حلب في المنطقة القديمة المحيطة بالجمع الاموي والقلعة .

البديل الثالث

يعتمد هذا البديل على اسلوب التنمية الجديدة والتطوير والتي تحددها الفضاءات والمساحات غير المستخدمة والتي هي ضمن النطاق التأثيري الاول لمدينة الكاظمية الجديدة ، اذ يمكن اجراء عمليات التطوير في المنطقة خارج المدينة القديمة وتحديدًا في المساحة الواقعة امام مستشفى الكاظمية التعليمي في حال الرغبة بانشاء فنادق ومنشآت ذات طرز حديثة ومتطورة تتواءم وتتناغم مع المنطقة المحيطة التي هي منطقة سكنية ذات طابع الحدائث في التنفيذ وكذلك فضلا عن مبنى المستشفى العملاق هناك مبنى كليتي الطب والحقوق . حديثا يمكن الركون الى استثمار المنطقة المحاذية الى النهر(منطقة المحيط) واستغلال مشهد النهر والمناطق الخضراء بالجانب الثاني من النهر .ولايفوتنا انه قد سبق وان تم انشاء فندق متعدد الطوابق بطراز معماري حديث في هذه المنطقة .

ويبقى البديل التخطيطي الافضل مروهون باليات اتخاذ القرار من قبل السلطات التنفيذية

الاستنتاجات والتوصيات

من اجل ان تجري عملية الحفاظ على الاعمار واعادته بتوافق سليم واعطاء الموضوع صورة واضحة عن جزء مهم من اجزاء العاصمة العراقية ، يجب أناطة موضوع التجديد والحفاظ الى مختصين في مجال تخطيط المدن ومن الخبرات العراقية المشهود لهم بالكفاءة في جوانب المعرفة العلمية والعملية في اعداد هكذا تخطيط وتصميم ، ومن الذين لهم باع طويل في هذا المجال وفي ارساء دعائم الموضوعية التخطيطية والتصميمية القياسية المعيارية عند تخطيط ارض الاولياء الصالحين من الاجداد الامجاد وتصميمها، وعدم الرجوع والرضوخ للخبرات الاجنبية والغربية على وجه الخصوص لكونها بلاشك تحتوي على عيوب التخطيط الغربي في تصميم المدن العربية المعاصرة التي تأتي من عدم الاستيعاب لقيم المجتمع العربي الاسلامي وتقاليدہ الاجتماعية وظروفه البيئية.

وتأتي جهود الحفاظ بنتائج تعطي بديلاً صحيحاً وصحياً لتطوير مدينة الكاظمية ولاسيما فيما يتعلق بالمساحة المحيطة بجدار المرقدين الشريفين ، يتوجب ان تجرى عملية الحفاظ في اطار نظرة كلية لمستقبل المنطقة ككل ، وبمقتضى خطة تنموية مرحلية واضحة وشاملة ، حتى وان كان ظرف البلد الراهن يفرض ان تكون اعمال الحفاظ والتطوير مجتزعة على ان يراعى في الخطة مايلي :-

١- تحقيق موازنة منطقية متكافئة ومنسجمة مع سياقات الحس المعماري السليم بين الكتله والفضاء.

٢- ضمان ديمومة الصورة العامة للمنطقة المعبرة عن التراث البغدادي .

٣- تحقيق كثافة تغطية وكثافة بناء متوازنة تراعي قواعد اقتصاديات الارض الحضرية.

٤- خلق بنية مورفولوجية تتميز بالانتظام والنسقية والمعايير التخطيطية .

٥- تأمين مستلزمات الصحة والملاءمة والامان .

٦- من اجل ترجمة مبتغيات المخطط ووضعها في سياقه التنفيذي السليم يتوجب تشكيل جهاز فني كفوء ضمن تنظيمات امانة بغداد أو اي جهة اخرى معنية ، على ان يسند هذا الجهاز بكوادر تخطيطية ومعمارية ومن هم من الكفاءات وحملة الشهادات العليا بتخصص التخطيط الحضري والاقليمي من جامعة بغداد على وجه الخصوص الجامعات الاخرى العربية والغربية . والمعنيون في ذلك من ذوي القدرة على استيعاب حجم المهمة وتوجيه مساراتها في حالة الاعتماد على الخبرات الاجنبية لاغراض قد تكون فنية في التنفيذ وليس في الاعداد.

٧- اعتماد احد البدائل التخطيطية المقترحة من قبل الباحث والتي تم بموجبها اعتماد الاسس التخطيطية والمعايير الاساسية في الحفاظ على المدينة العربية الاسلامية المقدسة في مدينة بغداد التاريخية . فضلا عن اعتماد مبادئ الحفاظ والتطوير والتجديد الحضري كل حسب متطلبات التخطيطية .

المصادر والمراجع

- ١- المهندس طالب حميد الطالب "الماضي والمستقبل ونظرتنا للعمارة المعاصرة" كلية الهندسة جامعة بغداد قسم العمارة، ١٩٨٣
- ٢- لفاح، د.م. ماهر "نحو التنمية المستدامة للتراث العمراني في المراكز التاريخية لمدينة دمشق / سوريا" بحث منشور على موقع الانترنت (www.apikedia.com)
- ٣- الطالب، حميد طالب، "واقع الحال واسباب الاعتلال في مركز الرصافة القديم" مجلة المخطط والتنمية، العدد ١٠، ١٩٩٠، ص ٥
- ٤- حمزة ، نسرين محمود " مدينة الكاظمية الكبرى" الكتبية الوطنية ،بغداد ١٩٩٥ ص ٩
- ٥- الكاظمية في المصادر الغربية ، موضوع منشور على شبكة الانترنت في الموقع www.histocity.com
- ٦- كمونة ، د.حيدر عبدالرزاق "تدوة الخصوصية الوطنية في العمارة العربية المعاصرة" وزارة الاسكان والتعمير ،بغداد ، ١٤-١٦ ت ١٩٨٩ ص ٧٨
- ٧- كمونة، د.حيدر عبد الرزاق "الاصالة والمعاصرة في العمارة العراقية" مجلة آفاق عربية ، العدد ١٠، ١٩٨٧
- ٨- كمونة ، د.حيدر عبدالرزاق "تدوة الخصوصية الوطنية في العمارة العربية المعاصرة" وزارة الاسكان والتعمير ،بغداد ، ١٤-١٦ ت ١٩٨٩ ص ٧٨
- ٩- كمونة ، د.حيدر عبدالرزاق "اهمية المحافظة على الابنية والمواقع التاريخية في المدينة العربية المعاصرة" مجلة المخطط والتنمية العدد ١ ، ١٩٩٥
- ١٠- رانغ لي ،"صيانة بكين القديمة" بحث مترجم عن الكاتب ومنشور على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) على الموقع www.rmub.com
- ١١- الحيدري،عبدالباقي عبدالجبار،"التجديد الحضري لقلعة أربيل"،رسالة ماجستير،مركز التخطيط الحضري والاقليمي"جامعة بغداد،١٩٨٦،ص٦
- ١٢Chapin ,F.Stuart,"Urban Land use planning ,University of Llinois press.١٩٦٥,P.٣٠٩.
- ١٣- الكواري ، د.علي خليفة ،الارادة المجتمعية للتنمية الشاملة " مجلة المستقبل العربي،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ١٩٩٨ ، العدد ٨
- ١٤- مصدر سابق ، ص ١٧
- ١٥- كمونة، د.حيدر عبدالرزاق ، "اهمية الحماية القانونية للمحافظة على المواقع والمباني التاريخية في المدينة العربية" بحث،المعدالغالي للتخطيط الحضري والاقليمي ،٢٠٠٠، ص ١

١٦- كمونة، د. حيدر عبدالرزاق "سبل استلهام القوانين التخطيطية للمدينة العربية المعاصرة في التراث المعماري" بحث، المعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي ٢٠٠٢.

Abstract

City/society are two sides of the same coin takes created by Urban and cultural identity of the model, which is reflected on the urban development of the city in order to achieve the human/community quality of life and housing.

The subject of this paper revolves around one of the problems plaguing the ancient city, which is a problem of urban renewal and development, which refer to the software re- development and improvement of large tracts of neighborhoods in different areas of the main cities.

Kadhimiya city is one of the cities of the Islamic world, it suffer from slow disintegration investigator. It is therefore necessary to examine in order to explore the city and the reality of the situation and draw a picture of the causes of morbidity in the facilities and buildings.

Through study and research in a manner of urban renewal, it was concluded that the long history of the city of Kadhimiya goal of sanctity and the content of the architectural heritage of civilization, making the orientation of scientific schematic of the city, is moving towards the development of schemes aimed at urban renewal.